المؤتمر الدولي

الدور العُماني في الشرق الإفريقي

١١ - ١٣ ديسمبر ٢٠١٢م

بحوث المؤتمر

المجلد الأول

مركز الدراسات العُمانية بجامعة السلطان قابوس
وهيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية

٢٠١٣م

مركز الدراسات العُمانية

جامعة السلطان قابوس

صندوق البريد ٥٤ الرمز البريدي ١٢٣

الخوض – سلطنة عُمان

الهاتف: ٠٠٩٦٨ ٢٤١٤٥٨٥١

الفاكس: ٠٠٩٦٨ ٢٤٤١٣٩٥٣

البريد الإلكتروني: osc@squ.edu.om

Omani Studies Center

Sultan Qaboos University

P. O. Box 54

Postal Address 123

Al Khoud، Sultanate of Oman

Tel، 00 968 2414 5851

Fax، 00 968 24413953

Email، osc@squ.edu.om

إعداد

قسم البحوث والدراسات – مركز الدراسات العُمانية

٢٠١٣م

رقم الايداع:٥٦٢/ ٢٠١٣

ISBN: 978-99969-0-234-5

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»

سورة الحجرات الآية -١٣

النخبة العُمانية في زنجبار: قراءة في مصادر وأطر الفكر القومي

أ. د. أمل غزال
جامعة دالهوزي، كندا
amal.ghazal@dal.ca

الملخص

هناك مغالطات تاريخية عديدة في تقييم التاريخ الفكري والثقافي للوجود العُماني في زنجبار في فترة ما بعد انقسام الامبراطورية إثر وفاة السيّد سعيد البوسعيدي سنة ١٨٥٦. فالانقسام السياسي لم يعنِ ابدا انعزال فكري بين عُمان وزنجبار. على العكس فقد استمر التواصل الفكري بشكل قوي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. لم يقتصر التواصل الفكري على العلاقات مع عُمان بل كان له بعد جغرافي واسع من خلال التواصل بين النخبة العُمانية المثقفة في زنجبار ودوائر مفكري المشرق والمغرب. خير دليل على هذا يكمن في دراسة نشأة وتطور الفكر القومي العُماني في زنجبار وكيف قامت النخبة العُمانية المثقفة ببلورة فكرة زنجبار كبلد قومي ذي هوية عربية واسلامية. لم يكن هذا التصور القومي لهوية زنجبار بالأمر العابر بل على العكس فهو مرآة لعلاقات فكرية متشعبة مع العالم العربي ولدور الجرائد العربية تحديداً في ربط عُمانيي زنجبار بالعالم العربي وبنشر الفكر القومي المؤطّر لمعنى الوطن الحديث. يهتم هذا البحث في تحليل مصادر هذا الفكر بالاضافة الى تحليل الواقع السياسي والاقتصادي الذي أدى الي تبنّي فكر قومي بأشكال ومفردات معينة. هذه الدراسة تعتمد على مواد باللغة العربية من بينها جريدتي الفتح في مصر والفلق في زنجبار بالاضافة لمواد من الأرشيف البريطاني

المقدمة

هناك مغالطات تأريخية عديدة في تقييم التاريخ الفكري والثقافي للوجود العُماني في زنجبار في فترة ما بعد انقسام الامبراطورية سنة ١٨٦١م. تتبنى أغلب الدراسات الاستشراقية المتعلقة بتاريخ الدولة البوسعيدية في شرق أفريقيا نظرية مفادها أن تقسيم الدولة إلى شقين أحدهما مركزه مسقط والآخر زنجبار أدى إلى انقطاع في العلاقات الفكرية والسياسية وحتى الاقتصادية بين عُمان وزنجبار وانعزال الواحدة عن الأخرى.[١] ويجري التأريخ للأحداث والتطورات السياسية والفكرية في كل منهما باعتبارهما مستقلين عن بعضهما البعض. وهذه النظرة أدت إلى تصوير زنجبار ما بعد فصلها عن مسقط باعتبارها بعيدة عن التطورات الحاصلة في عُمان وكذلك بعيدة عما تشهده المنطقة العربية ككل من مخاضات فكرية وسياسية وتحركات ايديولوجية، هذه المغالطة في دراسة تاريخ زنجبار لها اسباب عديدة منها الفصل الحاصل في الدراسات الغربية ومعظم الدراسات العربية بين نوعين من التأريخ: واحد يسمى تاريخ عربي وآخر يسمى تاريخ أفريقي وكأن الاثنين لا يلتقيان. وهذا تصوّر وتأطير للتاريخ خاصة في الدراسات الاستشراقية خاطئ وله أسباب ايديولوجية ينبغي التنبه لها وتجأوزها اذ سعت هذه الدراسات بشكل مباشر وغير مباشر إلى تبني وجهة نظر الاستعمار التي أرادت أن تفصل أفريقيا عن العرب والإسلام. ومن أسباب عدم قراءة تاريخ زنجبار بشكل دقيق التركيز في الدراسات الخاصة بشرق أفريقيا على الطرق الصوفية.[٢] وهذا منبعه فترة الاستعمار أيضا حين حأول الأوروبيون معرفة اسباب انتشار الإسلام في أفريقيا في القرن العشرين حيث القي الضوء على الطرق الصوفية كعامل اساسي في أسلمة أفريقيا واستمر هذا الاهتمام بالطرق الصوفية في شرق أفريقيا إلى ما بعد حقبة الاستعمار. وهذا التركيز على الصوفية وطرقها ادى إلى اهمال واغفال الإسلام الإباضية في شرق أفريقيا وعدم القدرة على معرفة وتقييم الانتاج الفكري والعلمي لإباضية زنجبار المتمثلة بالعُمانيين. هذا كان أيضا انعكاس لقلة، ان لم نقل ندرة، الاهتمام بالتراث الإباضي وخاصة التراث الحديث منه وما طرأ عليه من تحوّلات وتطوّرات تعكس الترابط والتشابك الفكري بين الإباضية بعضهم ببعض وبينهم وبين غيرهم من المسلمين على امتداد العالم العربي. وعلى أي حال فإن عدم دراسة الانتاج الفكري للعُمانيين في زنجبار أدى بطبيعة الحال لكتابة تاريخ شرق أفريقيا –الفكري والسياسي– بشكل ناقص عاجز عن تحديد

١. هذه النظرية تتبناها الكتابات الصادرة عم أفراد كانت لهم علاقة بالإدارة البريطانية وكذلك عن أكاديميين تبنّوا نفس الفكرة. أنظر مثلا L. W. Hollingsworth. (Zanzibar under the Foreign Office. -London: McMillan & Co. Ltd., 1953) ومن بعده - Robert Geran Landen. Oman since 1856: Disruptive Modernization in a Traditional Arab Society -Princeton: Princeton University Press, 1967)

٢. انظر مثلا أعمال سبينسر تريمينغهام وما تلاها من أعمال ل أوغست نيمز وراندال بأولز وغيرهم.

وتقييم ليس فقط الحياة الفكرية في زنجبار بل أيضا التطورات السياسية والاجتماعية والايديولوجية.

والنتيجة كانت عجز المؤرخين في تقييم مدى أهمية وعمق استمرار العلاقات ليس فقط بين زنجبار وعُمان بل و الأهم من ذلك أيضا بين زنجبار وبقية العالم العربي. إن البحث في هذه العلاقات التي كانت قائمة بشكل متين بين عُمانيي الضفتين -عُمان وزنجبار- من جهة وبين النخبة العُمانية في زنجبار وبقية العالم العربي من جهة أخرى يساهم بشكل اساسي في فهم التطورات والمستجدات في الحياة الفكرية في شرقي أفريقيا وزنجبار تحديدا ووضعها في اطارها الصحيح والدقيق. وهذا بدوره يلقي الضوء على التراث الإباضي الحديث الذي مازال بحاجة لدراسات معمقة ولاهتمام مكثف من قبل المختصين لكي يتم ابراز موقعه المتقدم في الحياة الفكرية الإسلامية والعربية في الفترة الحديثة.

وكمساهمة في تصحيح مسار التأريخ للدور العُماني في شرق أفريقيا وفي ابراز بعض وجوه الزخم العلمي للمفكرين الإباضيين في الفترة الحديثة يقوم هذا البحث بإلقاء الضوء على نشأة وتطور الفكر القومي لدى النخبة العُمانية في زنجبار والذي قام بتحديد مفهوم الوطنية والقومية الزنجبارية على أساس الإسلام والعروبة. ويسعى هذا البحث عبر التركيز على الفكر القومي أن يبرز العلاقات الفكرية المتشعبة لعُمانيي زنجبار مع العالم العربي والتواصل القائم على مستوى الفكر والهوية وتحديد مواقف جماعية من الاستعمار ومن مستقبل الشعوب العربية. وقيام النخبة العُمانية المثقفة ببلورة فكرة زنجبار كبلد قومي ذي هوية عربية واسلامية هو أوضح دليل على ثراء هذا التواصل الفكري اذ لا يمكن اعتبار نشوء الفكر القومي الهادف إلى تأسيس مفهوم الوطن والهوية الوطنية من باب الصدفة أو بالأمر العابر بل على العكس فهو مرآة لتلك العلاقات الفكرية المتشعبة مع العالم العربي ولدور الجرائد العربية تحديداً في انتشار الافكار القومية ومفهوم الوطنية بين عُمانيي زنجبار.

الإباضية في العصر الحديث الإصلاحي ومحاورة الإسلام

إن من أهم العوامل التي ساعدت على التواصل الفكري بين العُمانيين وباقي المفكرين العرب كانت حركة النهضة الإباضية في القرنين التاسع عشر والعشرين وتأثرها بالتيارات الإصلاحية الداعية للوحدة الإسلامية ولنبذ الاختلاف بين الفرق والمذاهب. وهذا التفاعل مع التيارات الإصلاحي تبناه أبرز علماء الإباضية منذ أواخر القرن التاسع عشر مثل الامام نور الدين السالمي في عُمان وابو سالم الرواحي في زنجبار ومحمد أطفيش في وادي ميزاب وبدرجات أعلى سليمان الباروني من جبل نفوسة ولاحقا ابراهيم اطفيش نزيل مصر بالاضافة إلى ابرز مفكري الإباضية بعد الحرب العالمية الأولى كإبراهيم أبي اليقظان الميزابي وهاشل المسكري في زنجبار. فالإسلام الإصلاحي الداعي للوحدة الإسلامية من جهة وواقع الاستعمار المؤلم من جهة أخرى أدّيا إلى تفاهم وتقريب بين الإباضية وأهل السنة تحديدا انعكس محاورات فكرية على أعلى المستويات. وزد على ذلك قوة خطاب الوحدة العربية والقومية العربية ابتداء من ثلاتينيات القرن العشرين والذي ساهم أيضا بشكل فعال في توحيد الصفوف. ومن هذا المنطلق جاء التواصل بين الإباضية وغيرهم من المسلمين تحت مظلة الإسلام الإصلاحي والعروبة. ولعب المصلحون الإباضية دورا رياديا في حركات التحرر من الاستعمار وحركات الاصلاح وكذلك في حركات الوحدة العربية ليس فقط في عُمان وزنجبار بل أيضا في شمال أفريقيا حيث كان للإباضية دورا رياديا في الحركات الوطنية في ليبيا وتونس والجزائر.[1]

ومن ناحية أخرى فإنه لا يخف على أحد دور إباضية زنجبار في هذه النهضة الإباضية خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وما قدمه سلاطين زنجبار ومتنفذي الجالية العُمانية في زنجبار من إمداد مادي ومعنوي لعلماء النهضة الإباضية إن كان في عُمان أو زنجبار أو وادي ميزاب. وبالنسبة لعُمان وزنجبار فقد استمر هذا الدعم حتى في ما بعد انقسام الدولة البوسعيدية وأخذ اشكالا عديدة تمثل بالمحاولات المتكررة لتوحيد شقي الدولة البوسعيدية بعد الانقسام ومحاولات التخلص من النفوذ البريطاني في عُمان وزنجبار باءت بالفشل ولكنها قضّت مضاجع السلطات البريطانية مرات عديدة. وبقي أعلام النهضة الإباضية في عُمان وزنجبار على تواصل مع بعضهما البعض وبطرق عدّة رغم الضغوطات البريطانية لشل أي تواصل فكري وسياسي بين عُمان وزنجبار.

وقد ساهم موقع زنجبار الاستراتيجي في منطقة المحيط الهندي في جعلها من أهم المراكز الكوزموبوليتنية

1. Amal N. Ghazal, «The Othe Frontiers of Arab Nationalism: Ibadis, Berbers and the Arabist-Salafi Press in the Interwar Period,» International Journal of Middle East Studies Vol., 44, 01, 2010: 105122-.

المنفتحة على العالم اقتصاديا وفكريا. وكان لهذا الدور الاقليمي تأثيراً كبير على عُمان التي كانت تذهب بإتجاه عزلة اقتصادية وسياسية وما يرافق هذا من عزلة فكرية أيضا. ولكن بقيت زنجبار تعمل كحلقة وصل بين عُمان والعالم وخاصة العالم العربي الذي بقي مفتوحا على زنجبار من خلال وسائل تواصل واتصال عديدة منها، لا بل أهمها الجرائد.

منذ القرن التاسع عشر والنخبة العُمانية المثقفة مرتبطة بشبكة فكرية واسعة ممتدة إلى الجزيرة العربية و مصر و سوريا واستنبول و الشمال الأفريقي. ولكن مع انتشار الجرائد والمطبوعات بعد الحرب العالمية الأولى توسعت هذه الشبكة واصبح نشاطها اكبر وأكثر تشعّباً وفعالية.[1] فإن كانت جريدة النجاح الصادرة سنة ١٩١١م مماثلة لجريدة المنار لصاحبها رشيد رضا فإن الفلق التابعة للجمعية العربية -وهي جمعية تمثّل العُمانيين بشكل خاص ولكنها اهتمت بأمور العرب في زنجبار عموما) الصادرة سنة ١٩٢٩م كانت جزءا من شبكة صحفية بين زنجبار وسوريا ومصر وتونس والجزائر تساند بعضها البعض ويجمع بين أعضائها السعي الدؤوب لمناهضة الاستعمار ونشر أفكار الإسلام الإصلاحي الوحدوي والدفاع عن فكرة العروبة كهوية وكمشروع سياسي. فأعضاء الجمعية العربية الناشطين في الفلق كانت تربطهم علاقات متينة بأبي اليقظان في الجزائر وبأبي أسحق أطفيش نزيل مصر وهؤلاء بدورهم كانت تربطهم بمحب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح -والتي يمكن اعتبارها أنها حلّت محل المنار بعد توقف الأخرى عن الصدور سنة ١٩٣٦ م والتي نقلت عنها الفلق الزنجبارية العديد من المقالات واتبعت خطا موازيا لها من حيث التركيز على أهمية الفكر الإصلاحي وكذلك العروبي في تحديد المواقف الوطنية. وكانت الفلق والفتح وجرائد أبي اليقظان في ميزاب تنقل عن بعضها البعض مقالات مختصة بشؤون شتى حتى شكلت هذه الجرائد مجتمعةً شبكة اتصال وتواصل بين المشرق والمغرب وشرق أفريقيا وبين الفكر الإصلاحي الإباضي ورديفه السني. و إن دل هذا على أي شيء فإنه يدل على نجاح الإسلام الإصلاحي في التقريب بشكل قوي وبشكل لعله غير مسبوق بين مفكري ونشطاء الإباضية وزملائهم من السنة. ولهذا التطور معنى أبعد اذ أتاح للاباضية البروز على الساحة الفكرية العربية في القرن العشرين وأعطى للإباضيين دورا متقدما في الحياة السياسية والفكرية.

أما في زنجبار تحديداً فالسلاطين أنفسهم ساهموا في دعم حركة النهضة العربية في المشرق ومعها حركة الإسلام الإصلاحي التي قادها محمد عبده وجمال الدين الافغاني، ومراسلات السلاطين مع شخصيات

1. Amal N. Ghazal, Islamic Reform and Arab Nationalism: Expanding the Crescent from th Mediterranean to the Indian Ocean -Routledge: 2010).

النهضة العربية تبرز إلى أي مدى اهتم حكّام زنجبار بعلاقاتهم مع مثقفي ومفكري العالم العربي.[1] فمن جرجي زيدان إلى إبراهيم ناصيف اليازجي وعبد المسيح الانطاكي إلى رشيد رضا فهؤلاء جميعا حظوا باهتمام ومساندة سلاطين زنجبار. ولم يتوقف الأمر على السلاطين بل تعداه إلى النخبة العُمانية المثقفة والناشطة فكريا وسياسيا. فالجمعية العربية التي تأسست أوائل القرن العشرين وكتبت دستورها سنة ١٩٢٠ كانت تسعى دائما إلى الارتباط بالعالم العربي وانشاء علاقات مع شخصيات عربية وسياسية في المشرق والمغرب، ويجب التنويه هنا بما كان لهذه العلاقات من رمز معنوي لدى الزنجباريين اذ ارتكزوا على هذه العلاقات لإثبات وللتشبث بهويتهم العربية والإسلامية في مواجهة الاستعمار وسياسات دولة الحماية، فمدّ جسور مع العالم العربي ومع أنه أمر طبيعي فهو لم يكن عبثا أو عارضا بل يجب أن يُفهم في سياق تأكيد الزنجباريين على الامتداد العربي لزنجبار وعلى هويتهم العربية، كما سنرى فإن السياسات البريطانية في زنجبار أشعلت مقاومة فكرية وسياسية لدى أفراد من الطبقة الحاكمة ولدى المثقفين العُمانيين الذين سعوا لتأكيد وترسيخ الهوية العربية والإسلامية لزنجبار في مواجهة ما اعتبروه محاولات حثيثة من قبل حكومة الحماية لفرض واقع يغيّر من هوية الجزيرة ويبعدها عن العروبة والإسلام. وكردة فعل على متغيرات شتى في الواقع الزنجباري فرضتها حكومة الحماية كوّن العُمانيون فكراً قوميا حدّد ملامح زنجبار كوطن قائم على ركيزتي العروبة والإسلام ساعدهم في ذلك شبكة العلاقات مع مثقفين ومفكرين في أقطار العالم العربي الذي كان يشهد ثورة ايديولجيات قومية، إذن فالشبكة الفكرية التي كان العُمانيون في زنجبار جزءا منها لم يكن لها دور فقط في نشر أفكار الإسلام الإصلاحي في زنجبار ولكن أيضا الفكر القومي المبني على أساس الوطن والوطنية، وهذا الفكر يحدد هوية الوطن القومي الذي ينتمي إليه مجموعة معينة من الناس تشترك فيما بينها في اللغة والعادات والتقاليد وأحيانا في الدين أيضا، وما يميّز هذا الفكر القومي الحديث هو فرض تصور معين على الماضي يصل احيانا لدرجة الخيال ويكون هدفه تصوير الوطن وكأنه كيان أزلي بملامح محدّدة لم تتغير عبر التاريخ، والقوميات المنتَجة في العالم العربي في القرن العشرين والتي عرّفت وحدّدت معنى الوطن إن كان وطن على نطاق البلد كالوطن السوري أو المصري أو الزنجباري أو على نطاق أوسع كالقومية العربية أو السورية الكبرى أو المغاربية هي حصيلة هذا الفكر الذي ظهر في أوروبا ولكنه سرعان ما انتشر في العالم العربي بشكل واسع مع زوال الدولة العثمانية وقيام حكومات الاستعمار. والفكر القومي

---

1. Ibid. See also Anne Bang, Sufis and Scholars of the Sea: Family Networks in East Africa, 18601925- -Routledge, 2003).

في العالم العربي كان متشعبا إذ كان إما ذات طابع ديني أو علماني، قطري أو عروبي، أو مزيج من الجميع.

الواقع الزنجباري وأسباب نشوء الفكر القومي

كانت الأرض خصبة لنشوء فكرة القومية في زنجبار، فالنخبة السياسية والفكرية العُمانية واجهت تحديات جمة من جراء إضعاف بريطانيا للدولة البوسعيدية وفرض واقع الانفصال بين عُمان وزنجبار ثم إلحاقها بنظام الحماية وما ترتب على ذلك من فقدان العُمانيين لأدوات الحكم الفعلي وابقاء سلطة الحماية على وجود صوري فقط للحكم العُماني في زنجبار. وعلى عكس ما تروّج له الدراسات الاستشراقية فإن النخبة العُمانية لم تكن مهادنة للمستعمرين فالعُمانيون لم يكونوا شركاء بريطانيا في حكم زنجبار بل يجب وضعهم في حكم المستعَمر أيضا.[1] إن النظر إلى الحكم العُماني في زنجبار من منطلق المصالحة مع نظام الحماية خاطئ اذ ان العُمانيين وبالتحديد أصحاب الرأي والقلم منهم بالإضافة إلى بعض السلاطين وقفوا بقوة وصرامة في وجه بريطانيا وسياساتها في زنجبار وحاولوا مقاومة سياسات بريطانيا بطرق عدة. واتخذت المقاومة اشكالا عديدة منها ما هو مواجهة مسلحة مباشرة كما فعل السلطان خالد سنة ١٨٩٦م أو غير مباشر حين أمدّ السلطان حمد و على الرغم من الاعتراض البريطاني- حركة النهضة في عُمان الساعية لإعادة الوحدة بين عُمان وزنجبار بالسلاح ومنها الحرص على ارتباطات فكرية بحركات وطنية على امتداد الجغرافية العربية لبناء جسور مع العالم العربي في مواجهة الاستعمار والهيمنة الأوروبية. وكذلك القوة الاقتصادية للعُمانيين ضعفت جدا مع الغاء تجارة العبيد في زنجبار سنة ١٨٧٣م وصولا إلى الغاء العبودية سنة ١٨٩٧ م مرورا بالخسارات الاقتصادية الجمة نتيجة قوانين الضرائب والعمل الصادرة عن نظام الحماية. فالقول بأن العُمانيين كانوا أصحاب هيمنة سياسية خلال فترة الحماية في زنجبار لا يعكس الواقع أبدا ويلحق خطأ كبيرا في تقدير الأحداث والتطورات وما رآه العُمانيون أنه ظلم ألحقته بهم حكومة الحماية.

إذن خسر العُمانيون جراء إلحاق زنجبار بنظام الحماية سنة ١٨٩٠م سياسيا واقتصاديا بعد أن كانوا أصحاب الحلّ والعقد في شرق أفريقيا، وحلّت الطامة الكبرى حين وضعت الحكومة يدها على النظام التعليمي الرسمي في زنجبار وفرضت المناهج الدراسية التي وضِعت بناء على تصورات معيّنة لدى نظام الحماية الذي أضعف اللغة العربية ومادة الدين، وهذا مما اعتبره العُمانيون وغيرهم من مسلمي الجزيرة مساساً بهوية الطلاب ومستقبلهم ومستقبل بلدهم زنجبار، فقد دقّوا ناقوس الخطر وكتبوا رسائل اعتراض الواحدة تلو

١. أنظر، على سبيل المثال لا الحصر، Michael Loftchie, Zanzibar: Background to Revolution Princeton: Princeton University Press, 1965) و Laura Fair, Pastimes and Politics: Culture, Community and Identity in Post-Abolition Urban Zanzibar, 1890-1945 (Athens: Ohio University Press, 2001).

الأخرى وناشدوا بأعلى صوت ممكن الحكومة إجراء تعديل في المناهج يحفظ الهوية العربية والإسلامية لزنجبار وأبنائها، وكما سنرى فقد اتهم العُمانيون الحكومة بمعاملة زنجبار أُسوة بالداخل الأفريقي الذي اعتبره العُمانيون بدون حضارة تذكر على عكس زنجبار،ولحفظ ما تبقى من نفوذ أو استرجاع بعض مما ضاع لجأ العُمانيون للتأكيد على أحقيتهم بزنجبار وبتحديد هويتها باعتبارهم ذووا تاريخ قديم على الجزيرة وأوصياء على الحضارة العربية والإسلامية التي ساهموا المساهمة الأكبر في ترسيخها في الجزيرة. فزنجبار بالنسبة لهم تحمل هويتهم العربية والإسلامية التي يجب تثبيتها والدفاع عنها بين هذه المعطيات والتغيرات المؤثرة على الوجود العُماني وبين بروز الافكار القومية كمادة فكرية وايديولوجية تحوّل هذا الحرص على هوية زنجبار إلى فكر قومي منهجي بلوره مجموعة من العُمانيين في زنجبار جعلوا من صفحات الفلق منبرا لهم ولأفكارهم القومية فزنجبار الوطن بالمعنى الحديث أخذ شكله في مقالات الفلق ومن خلال أقلام محررين فيها ومساهمين بمقالات.

والبعد الآخر لبروز القومية الزنجبارية يتعلّق بالمتغيرات والمستجدات الاقليمية. فلا ننسى أن الفلق كانت جزء من شبكة صحفية على امتداد العالم العربي في وقت كان الحديث عن العروبة بدأ يستعر ويملأ صفحات الكتب والجرائد. والمحرّك الأول لمشروع العروبة كان واقع الاستعمار الذي اتسعت رقعته مع زوال الدولة العثمانية والحاق دول المشرق ومصر وليبيا بالنظام الاستعماري تحت مسميات عدّة، ونلاحظ أن الواقع الذي وجد المثقفون والمفكرون العرب أنفسهم فيه بعد الحرب العالمية الأولى كان أكثر مرارة مما شاهده واختبره الجيل السابق، وهذا الشعور بكارثة حلّت على الجميع ولّد حاجة ماسة إلى تظافر الجهود وفتح الطريق أمام الحديث عن مشروع وحدة عربية أراده العُمانيون أن يشمل أيضا زنجبار. فزنجبار العربية والمسلمة صوّرها العُمانيون على أنها جزء لا يتجزّأ من العالم العربي وعضو في وحدته المرتقبة. فالعضوية في العالم العربي كانت تُعتبر صمّام أمان للعُمانيين في زنجبار كما اعتبروا مآسي العالم العربي جزءاً من مآسيهم أيضا كقضية فلسطين مثلاً التي بدورها أخذت حيّزاً كبيرا من اهتمام العُمانيين وسائر مسلمي الجزيرة كما توضحه الفلق أيضا. ومن هنا فإن الفلق وخاصة كتابات هاشل المسكري ومحمد اللمكي فيها تُعتبر المصدر الأكثر أهمية لدراسة التطورات الفكرية لدى النخبة العُمانية المثقفة ومن شأنها أن تبرز لنا آراء العُمانيين ومشاكلهم وهمومهم فدراسة فحوى جريدة الفلق التابعة للجمعية العربية يصحّح اغلاطا تأريخية تتعلّق بحقبة الحكم البوسعيدي في زنجبار. فعبر صفحات الفلق نرى ان العُمانيين لم يروا أنفسهم أنهم شركاء حكم كع البريطانيين أو أصحاب سلطة وقرار تحت نظام الحماية بل كانت لهم مظالم عديدة وشكاوى

متنوعة تبرز ما آلت اليه أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تحت الاحتلال وكذلك توثّق الفلق للبعد الاقليمي للحياة الفكرية في الجزيرة والتي بقي العُمانيون روادها حتى الخمسينات من القرن العشرين إذ شكلت الفلق حلقة ربط متينة بين زنجبار والعالم العربي.

زنجبار والعمق العربي على صفحات الفلق

كما ذكرنا سابقا فإن هوية زنجبار العربية كما رسمها العُمانيون كان لها امتداد اقليمي قائم على فكرة أن الشعب العربي واحد وصاحب أمجاد عريقة تشكّل ماضيا يجب على كل العرب الاعتزاز به وأن يجعلوا منه حافزا لوحدتهم، "وها هي بلاد العرب من حدود العراق إلى جبال طوروس إلى البحر الاطلنطي فالسودان يعود أهلها إلى أصل واحد، ولهم تاريخ مشترك واحد، ولهم لسان واحد وتقاليد ان لم تكن واحدة فهي متقاربة وزد على ذلك الدين وهو للأغلبية من الآهلين والآمال واحدة وهي ارجاع مجد الماضي الحبيب، ماضي العزة والعظمة" -الفلق: ١٩٣٨م ووضع العُمانيون زنجبار في اطار مشروع الوحدة العربية وارتأت أن تكون آمالها وآلامها هي نفس آمال وآلام باقي دول العالم العربي فألم الاستعمار والاحتلال واحد وكذلك الأمل في النهضة والتحرر والتقدّم وكانت الفلق تتابع التطورات العربية السياسية عن قريب وتعقد الآمال على أي مبادرة من شأنها أن تودي إلى نوع من الوحدة بين العرب. فمثلا احتفت الفلق بالائتلاف الثلاثي بين السعودية واليمن والعراق الذي قام سنة ١٩٣٨م ودعت مصر وسوريا إلى الانضمام لهذا الحلف أملا بتحرير "فلسطين والامارات العربية على الخليج الايراني وأفريقيا الشمالية وحضرموت وزنجبار من سلطان الغرب والنفوذ الأوروبي ، وسداء الاخلاص والسعي في انهاض العرب بهذه الاقطار وجعلهم قوة واحدة نسعى إلى غاية واحدة وهي اذاعة كلمة الله العليا على وجه البسيطة وأخذ الدنيا بالاعتراف بعظمة العرب."[١]

وعلى أثر انعقاد المؤتمر العربي الأول في نيروبي في شهر أبريل ١٩٣٩م في نيروبي ذكرت الفلق قراءها بواجبهم المقدس "لخدمة العرب والعروبة في هذه البلاد النائية عن أمهات الأوطان. . . وذكرتهم ب "البلايا والرزايا التي سقطت على رؤوس ملايين من العرب الأحرار بحملها العروبة الناهضة الجبارة التي قام بها الطيب الذكر المغفور له الملك فيصل الأول ومن خلفه من ملوك العرب.."[٢] واعتبرت ان العروبة تثير خوفا شديدا في نفوس المستعمرين "الذين وضعوا نصب أعينهم قتل الروح الفتية قبل ترعرعها." وكمثال على التصور

---

١. الفلق: ٣ ذي الحجة ١٣٥٦.

٢. الفلق ٦ ماي ١٩٣٩.

القومي للتاريخ اعتبرت الفلق أن من قاتل وقُتل من العرب في شرق أفريقيا في القرون الثلاثة الماضية كان من الشهداء في "سبيل العروبة والإسلام."

هذا الإطار العروبي للخطاب الوطني والقومي برز مرارا وتكرارا خاصة في الحديث عن مصائب وفواجع العالم العربي ، وقد أرادت الفلق من هذا التأكيد على البعد العربي لزنجبار تاريخاً وجغرافية أن تشدّد على هوية زنجبار العربية وارتباطها بالعالم العربي فتحت عنوان "فاجعة ميسلون" نشرت الفلق مقالاً عن معركة ميسلون التي وقعت في ٢٤ يوليو ١٩٢٠م بين المقاتلين السوريين والجيش الفرنسي والتي استبسل فيها السوريون للدفاع عن استقلال سوريا رغم قلة العدّة العداد وأدت المعركة إلى انهاء حكم الملك فيصل وانشاء حكم الانتداب الفرنسي على سوريا فعلّقت الفلق في ذكرى المعركة بالقول: "ولكونك عربي وفاجعة ميسلون عربية والفلق جريدة عربية وآنا عربي أرى الواجب يحتم عليّ بذكر شيء عن ميسلون وفاجعتها التي وقعت على رؤوس العرب وقعة لا تنسى."[١] فالمسافة بين زنجبار وميسلون وبين ١٩٢٠م عام معركة ميسلون و١٩٣٩م عام كتابة الفلق عن معركة ميسلون لم يكونا عائقا البتة في وجه ارتباط زنجبار بسوريا من مبدأ العروبة ومبدأ مشركة مأساة سببها الاستعمار ولم يكن هذا البعد الزمني والجغرافي ليبعد قضايا سوريا وغيرها من البلاد العربية عن قرّاء الفلق فالتاريخ هنا وكما صاغته الفلق اعيدت قراءته وكتابته باعتباره تاريخا جماعيا يجمع بين شعوبه الهوية العربية والمأساة معا.

ففي تأبين ملك العراق غازي الأول كتبت الفلق "إن موت صاحب الجلالة غازي الأول لم يكن ضربة قاضية لآمال العراق فحسب بل مصيبة هدت أركان احلام سبعين مليونا من العرب والمستعربين في الدائرة الواسعة ما بين البصرة شرقا ومراكش غربا وحلب شمالا وزنجبار جنوبا تلك الآمال التي كانت تدور حول محور اتفاق واتحاد الامم العربية جمعاء" -الفلق ٨ ابريل ١٩٣٩م- والجدير بالذكر هنا ان الملك غازي الأول لم يكن تلك الشخصية السياسية االقوية في العراق أو صاحب النفوذ في العالم العربي بل على العكس من ذلك فهو لم يكن صاحب القرار في العراق إذ كان القرار حينها في أيادي شخصيات عراقية عسكرية ولكن التأبين هنا يجب أن يقرأ على أنه خوف على مستقبل العراق في زمن كانت الآمال معقودة فيه على العراق ليقود مسيرة الوحدة العربية وهذا الشعور الجماعي استخدم أيضا كقوة يجبأ ن يرتكز عليها العرب ليتخلصوا من اعباء الواقع الاستعماري وبناء عليه حذرت الفلق الأوروبيين عشية الحرب العالمية الثانية بأن عهد استعباد العرب قد ولّى ،وأنه قد "آن لأوروبا أن تعلم انه لم يبق في الوجود عربي أو مسلم الاّ وينظر إليها شزراً من تلك

[١] الفلق ٢٢ جلاي ١٩٣٩.

المعاملة القاسية المنافية لحقوق الانسانية...»[1]

وهذه الهوية الجماعية المتمثلة بالعروبة التي حدّدت أطر القومية الزنجبارية و بدأت تتبلور بعد الحرب العالمية الأولى تمثلت في وصف العُمانيين لزنجبار بالوطن وبالأمة معاً في إشارة إلى ارتباط الوطن بالأمة الاكبر وفي إشارة إلى تبلور مفهوم الوطنية بالمعنى الحديث. فقد نقلت الفلق عن مجلة الفتح ومحررها محب الدين الخطيب مقالا بعنوان "نظرة الإسلام إلى الوطنية كعاطفة غريزية" يشرح فيه أهمية العاطفة الوطنية في القرآن والسنة النبوية[2] وقد قدّم المقال فكرة الوطنية كفكرة قديمة وأعطاها مشروعية من القرآن والسنة والمهم هنا هو ما يقدمه هذا المقال من مثال على التواصل الفكري بين الفلق والفتح والطريقة التي يتم بها نشر أفكار وأهداف عبر الجرائد ومن مثال عن ترويج الأفكار الوطنية والقومية باعتبارها حركات ذات جذور تاريخية وفي سياق آخر نرى كيف تشرح الفلق معنى الوطنية لتحاكي واقع العرب في زنجبار وما يتعرّضون له من تهميش سياسي واجتماعي من قبل حكومة الحماية وكيف تضمّنه معانٍ خاصة بمفهوم الوطنية الحديثة، فتكتب الفلق عن واجب الوطنية أنه اخلاص و صدق قول و عمل و مشاريع خيرية و معاهد علمية و مؤسسات و مستشفيات واستلام مقاليد الاحوال الاقتصادية والهيمنة على تجارة البلاد والخروج إلى ساحة الصناعات المختلفة في البلاد والمهن الحرة.[3]

حرّاس الوطن: الفلق، الهوية الوطنية، وقضية التعليم في زنجبار

كما سبق وذكرنا فقد جاء تبلور الهوية العربية الإسلامية لزنجبار لدى النخبة العُمانية كردة فعل على سياسات حكومة الحماية وأهمها سياسة تحديد المناهج التعليمية التي رأى العُمانيون أن هدفها هو محو الهوية العربية والإسلامية لزنجبار و إضعاف العرب وحرمانهم من نظام تربوي يؤهلهم ليكونوا اصحاب كفاءات يدخلون بها سوق العمل ووظائف حكومية. والجدير بالذكر هنا أن من أهم أسباب اصدار الفلق، كما ذُكر فيها، كان التصدي لسياسة نظام الحماية في المجال التربوي ومناقشته وطرح بدائل تصحّح مسار المناهج التعليمية.[4]

---

١. الفلق: ٨ ابريل ١٩٣٩.

٢. الفلق: ١٢ فبروري ١٩٣٨.

٣. الفلق، ٢ ديسمبر ١٩٣٩.

٤. الفلق ابريل ١٦ ١٩٢٠.

فعلى عكس الجالية الهندية التي كان لها نظام مدرسي خاص بها ففن النظام التربوي في زنجبار كان موجّها لاستيعاب الطلاب العرب والسواحليين، وهذا النظام التربوي الحكومي كان قد أنشئ أيام السلطان علي لتحديث وتطوير التعليم في زنجبار، ولكن بعد سنتين وفي ١٩٠٧م أنشأ نظام الحماية دائرة التربية والتي من خلالها مدّ سلطته وأحكم نفوذه على النظام المدرسي وعمّق عبره الفروقات والاختلافات الاثنية والعرقية في زنجبار. وبالإضافة إلى تدهور الاحوال الاقتصادية للعُمانيين وزيادة ديونهم للهنود فإن العُمانيين ومعهم السواحليون لم يكن لهم تمثيل كاف في شتى الدوائر الحكومية بسبب ضعف النظام التربوي، وعكس هذا الوضع دراسة اجرتها حكومة الحماية سنة ١٩٢٠م لمعرفة الخطوات التي يجب اتخاذها لإعطاء فرص للعرب والأفارقة مماثلة لفرص الهنود، ولكن اللجنة المعينة للتحقيق في هذا الأمر لم يكن فيها اي عضو يمثل العرب وأتت بتوصيات من شأنها استمرارية السياسات التي تزيد الفجوة بين مختلف المجموعات الاثنية وتعمق الهوة بينها جميعا. فاللجنة قررت ان النظام التعليمي يجب أن يقوم على أساس أن يكون اختصاصهم الزراعة والهنود التجارة والافارقة الصناعة، وأشار التقرير بأن الجيل الفتي للعرب لا يهتم بالزراعة وبناء عليه لن يتم تطوير البرنامج التعليمي الخاص بالزراعة إلى أن يطرأ تغيير تام في سلوك العرب، وهكذا فقد رسمت حكومة الحماية أهداف التعليم الدراسي حسب نظرتها الاثنية للمجتمع الزنجباري التي قسّمته منذ البداية إلى مجموعات اثنية أعطت أو حرمت كلاً منها حقوقاً حسب ما ترتأي.

وعلى أي حال فإن العرب والسواحليين لم يثقوا بهذا النظام المدرسي وبقيت المدارس القرآنية الخيار المفضّل لدى العديد منهم إذ كانت تحفظ رضى الاهالي بحفاظها على العلوم الدينية واللغة العربية، وظلّت هذه المدارس مفضّلة حتى العقد الرابع من القرن العشرين ولم تسمح الحكومة بفتح مدرسة ثانوية حكومية الاّ في الثلاثينات وكان البديل ثانوية تابعة للإرساليات التبشيرية، أما المعاهد والجامعات فلم يُسمح أيضا بإنشائها إلا فيما بعد والبديل عند بعض العائلات الميسورة كان ابتعاث الأولاد إلى مصر.[١] فمن ناحية كان نظام مصر التعليمي ذائع الصيت ومن ناحية اخرى كانت مصر تعتَبَر مركز للثقافة العربية وللحِراك السياسي المناهض للاستعمار، وهذا الأمر بالتحديد خافت منه سلطة الحماية التي كانت تعتبر ان مصر تشكّل خطراً اذ تعلّم الطلاب الوطنية ومقاومة الاستعمار، وقد قامت الحكومة بمراقبة بعثات الطلاب خوفا من هذا التأثير وما قد يترتب عليه من نشاطات سياسية حين عودة الطلاب إلى زنجبار.

١ للمزيد من التفاصيل عن الوضع التعليمي في زنجبار تحت حكم سلطة الحماية أنظر Norman R Benett. A History of the Arab State Zanzibar -London: Methuen 7 Co.. 1978

وإذ كانت النخبة العُمانية واعية تماما لخطورة النظام التعليمي من ناحية عدم توفير كفاءات بين العرب والسواحليين وبالتالي على عدم مقدرتهم الحصول على وظائف لائقة كانت أكثر ما هي خائفة من خطورة النظام التعليمي على الهوية العربية لزنجبار -والتي كانت النخبة تدافع عنها بشراسة- وما قد ينجم من قطع الصلة بين زنجبار والعالم العربي وتوالت الانتقادات على صفحات الفلق لسياسات الحكومة التربوية وتميّزت الانتقادات بشدة اللهجة منذرة بخطر يحدق بالعرب وبعروبتهم وعروبة زنجبار.

أولا، فقد رأى اصحاب القلم والفكر بين العُمانيين أن هناك ارتباط قوي بين اللغة العربية والأخلاق العربية وبين الاخلاق العربية وانتشار الحضارة العربية على الجزيرة، واهمال اللغة العربية في البرنامج المدرسي يؤدي بطبيعة الحال إلى اتلاف الاخلاق العربية ومعها التاريخ والوجود العربي على الجزيرة، وقد حثّت الفلق أبناء العُمانيين مرارا وتكرارا أن يحافظوا على إرث أجدادهم الذين أنشأوا وركزوا دعائم الحكم العربي في الجزيرة وشنت الجريدة هجوما تلو الهجوم على الجالية العُمانية التي لا تأبه لحال اللغة العربية وحذّرتها من مغبّة اهمال اللغة.

وأصدرت الفلق سلسلة من ثلاث مقالات بعنوان "التعليم ومشاكله" موجهة إلى نائب مدير المعارق مستر فوستر توضح بها موقف الفلق من مسألة التعليم ومنهجه. فقد أوضح المقال أن "جلّ سكان محمية زنجبار هم من العرب ومن الافريقيين المتطبعين بطبائع العرب لا يفرق بينهم سوى الفرق البسيط يسن اللونين وملامح الوجه." وكما العرب متمسّكون بدينهم كذلك الأفارقة الذين يهتمون بدينهم وبلغته العربية وبأخلاق العرب التي يعتبرونها فرعاً من فروع الآداب الإسلامية، وانتقدت الفلق سياسة التعليم التي "تخطو على أنقاض اللغة العربية والآداب العربية" وزد على ذلك حالة المعلمين الذين وصفتهم "الفلق" ب "أتعس موظفي الحكومة" الذين يتقاضون ماهية بسيطة كونهم مدرسين مواطنين، هذا بالإضافة لمشكلة أكبر وهي عدم تأهيل النظام التعليمي للكفاءات.[1]

تعليقا على ما تسببه هذه السياسات التعليمية من أذى على حاضر ومستقبل العرب في زنجبار كتبت الفلق وبلغة حادة وصريحة انتقاداً لمدير التربية وسياساته التي وصفتها بالاستعمارية البحتة الساعية إلى تزنيج العرب وسلخهم عن هويتهم ودينهم، إذ كتبت "هذه دائرة من دوائر الحكومة يرأسها آجنبي مستعمر ،يعينه على عمله عدد من بني جنسه، يسير على خطى استعمارية بل استعبادية واضحة، ينفّذ أوامر وإرادات

١. الفلق: ٨ يوليو ،١٩٣٩).

استعبادية صرفة... دائرة تطارد اللغة العربية، تضطهدها، تستأصلها، لا تعترف بها، وهي لغة سيد البلاد، لغة فاتحي القطر، لغة أحد وثلاثين ألف عربي في الديار، دائرة تسعى جهدها في جعل الناشئ العربي زنجي في لغته، في تفكيره، مستعبد في شعوره واحساسه بجهله لغته وما في لغته من بواعث النهضة والاعتزاز بالذات وبمجد الآباء، مبتعد بجهله لغته وفقدانه الاعتزاز القومي عن التأثر بنهضة بني جنسه في مختلف بلدانهم، ناء بجهله لغة القرآن والسنة المحمدية والشريعة الإسلامية عن الدين ومحاسنه وفضائله... من العسير أن لم يكن من المستحيل أن ينهض العرب في هذه البلاد لانشاء مدرسة عربية إسلامية وطنية لتثقيف ابنائهم..." الفلق: ٩ ابريل ١٩٣٨م وفي هذا الكلام إشارة واضحة إلى الطريقة التي ميّز به الفكر القومي زنجبار عن الداخل الأفريقي بالتحديد فهي عربية وليست زنجية ومرتبطة بالعالم العربي وبنهضته ودينه الإسلامي.

وشكّل هذا الفرق بين عربي وزنجي أساساً للهوية الزنجبارية إذ كان هدف العُمانيين تمييز زنجبار عن داخل شرق أفريقيا وعدم اعتبارها جزءا منها لكونها ذات طابع مختلف لغةً وديناً شكّلا عنصري حضارة عربية غير موجودة في الداخل الافريقي. فأرادت الفلق أن تنبّه الحكومة أن لا تعاملهما باعتبارهما سويّان بل على العكس باعتبارهما متناقضين: الجزيرة والساحل عربيتان مسلمتان والداخل زنجي لم تصله الحضارة العربية الإسلامية، علّقت الفلق سائلة: " ظهر لنا مرارا أن السياسة المتبعة هنا هي نفس السياسة التي تتبع في الاقاليم المجاورة من شرق أفريقيا فيما يختص بالتعليم : حسنا أي علاقة لنا بتلك البلاد الآن؟ ألأننا متجاورون؟ أو لأن حكومة واحدة تملك بلدنا؟

العرب لهم شخصية بارزة في هذه البلاد ومن الصعب قتل نفوذهم، والعرب كأمة مسلمة وأولى الأمم الإسلامية تنظر إليهم كمثل أعلى للكمال: والعرب كأمة لها تاريخ مجيد فمن الصعب أن تقبل هذه الامة بالانتحار الأدبي أو تقبل بالموت من أيد أفراد مهما كانوا.[1]

وبعثت الجمعية العربية برسالة مطولة إلى حكومة الحماية تشتكي بها من الأوضاع الاقتصادية للعرب وقدّمت تصورات قد تأتي بحلول واشتكت في نفس الرسالة من أوضاع المدارس الحكومية ومن المنهاج التعليمي الذي وصفته الجمعية بأنه يلائم الداخل الافريقي وليس زنجبار بينما الأول هو في طور إنشاء ثقافة وتاريخ الثانية هي صاحبة ثقافة وتاريخ قديمين. وذكّرت الجمعية الحكومة أن العرب والسواحليين مسلمون بينما اغلب أهل الداخل وثنيون.

وفي ملحق للرسالة اعترضت الجمعية على التركيز على تعلّم اللغة السواحلية في الصفوف المتقدمة في

---

[1] الـ(٣١ ديسمبر ١٩٣٨).

المدارس الحكومية معتبرة ذلك ضررا على الطلاب العرب الذين يفقدون صلتهم باللغة العربية وبالتالي بالثقافة العربية والتاريخ العربي والهوية العربية وكأن الحكومة كما جاء في التقرير تسعى إلى محو كل ما هو عربي من شرق أفريقيا وجعل العرب كالأفارقة في شرق وأواسط أفريقيا اي شعب بلا ثقافة ودين وحضارة. كذلك اتهم التقرير المسؤولين بمحاولة بتر زنجبار عن العالم العربي بهدف محو الوجود العربي فيها وجعل العرب يذوبون في القبائل الافريقية، وذكر التقرير الحكومة بأن زنجبار دولة عربية وأنه ليس من المقبول أن تعطي الحكومة حقوق المجموعات الأخرى في زنجبار على حساب العرب[١]، ومن الواضح من نبرة وفحوى التقرير أن مسألة التعليم أخذت الحيّز الاكبر من اهتمام العُمانيين وانتقادهم للحكومة التي غالبا ما كانت تردّ على هذه المطالب بحجج تؤجل الحلول ولا تعالج الشكاوى.

ولم تلُم الفلق الحكومة فقط على اهمال اللغة وتعريض مستقبل العرب والعروبة في الجزيرة للخطر بل كان هناك الكثير من الانتقاد للجالية العُمانية نفسها لتقصيرها في هذا الموضوع رغم أهميته وخطورته أو لرضاها بالواقع المفروض، فنشرت الفلق مقالين بعنوان "عقوق" من الاقتناع بالمنهاج التعليمي وقبوله وتعتبر من يرضى به في خانة العاقين لوطنهم والخائنين له، (الفلق ٩ ابريل ١٩٣٨م) ونبعتهم بأن الوطن يبكي ويناديهم أن لا يدفنوا عروبتهم وأن لا يجعلوا هذا الوطن كأب بدون أولاد بررة، (الفلق ٤ جون ١٩٣٨م) وأكد هذا الاهمال هاشل المسكري في رده على أسئلة وجهت إليه عن احوال العرب في زنجبار إذ وصف القيادة في المجتمع العربي بالتقصير وباهتمامها فقط بمصالحها الخاصة.[٢]

وأضحى المنهاج التعليمي الهم الشاغل للنخبة العُمانية التي بثّت همومها وشكواها المتعلقة بخوفها على مستقبل اللغة العربية وهوية الجزيرة إلى القاصي والداني، فهذا عدنان الكيلاني محرّر جريدة الجزيرة الدمشقية يدلي أيضا بدلوه في هذا الشأن خلال زيارة للجزيرة سنة ١٩٣٨م فحذّر مما تتعرض له اللغة العربية من إهمال خاصة بين شبابها الذين "يدعون العروبة ويفاخرون بها بينما أكثرهم لا يحسن التفاهم والتخاطب بها." وتساءل "كيف يحق لإنسان أن ينتمي إلى جنسية دون أن يحسن التكلم بلغتها؟ وكيف يتمكن أن يظهر في هذا العصر عصر القوميات بمظهر العروبة وهو لا يتكلم سوى لغة بربرية زنجية لا صلة ولا نسب

1. TNA, CO 61 815/60/ "A Memorandum by the Arab Association of Zanzibar Addressed to the Right Hon. the Secretary of the State for the Colonies, " February 5, 1934

٢. الفلق، ٢٦ فبراير ١٩٣٨.

لها بالعروبة ويفضل عليها لغة اجنبية تحاول أن تطغى على العربية لأسباب سياسية...«[1] قد لا يتفق معه العُمانيون أن السواحلية لغة بربرية ولكنهم يتفقون أن إهمال اللغة العربية سيساوي بينهم وبين الزنوج إذ سيحرمهم من مقوّمات الحضارة العربية الإسلامية التي ميّزتهم عن غيرهم في أفريقيا وسيسلخهم بالطبع عن امتدادهم العربي.

الخلاصة

وهكذا فعلى أعتاب الحرب العالمية الأولى كانت قد تبلورت فكرة زنجبار كبلد قومي بالمفهوم الحديث للقومية وتلك القومية كانت مبنية على دعامتين هما الإسلام (بمفهومه الإصلاحي بشكل خاص) والعروبة فتحديد زنجبار كوطن مسلم وعربي اتى في سياق ردة الفعل على السياسات البريطانية التي أضعفت الجالية العُمانية اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وهدفت إلى اضفاء هوية معينة على زنجبار وجدها العُمانيون مناهضة ومخالفة تماما لهوية عربية إسلامية فتخروا ليس فقط باقتنائها بل أيضا بزرعها على سواحل أفريقيا الشرقية.

وتبلور الفكر القومي أيضا لارتباط النجبة العُمانية المثقفة بالتيارات الفكرية المتعددة والتي كانت جميعا أيضا تصنع تحديدات معيّنه لفكرة الوطن الحديث مرتكزة اساسا على فكرة العروبة وعلى فكرة الإسلام بدرجات متفاوتة. هذا الزخم الفكري من قبل العُمانيين والذي وقف بوجه حكومة الحماية في زنجبار والاستعمار بأشكاله المتعددة في زنجبار وفي سائر العالم العربي بدأ يقابله من ناحية أخرى نشوء أفكار قومية لدى الجاليات الافريقية التي بدأ يتكون لديها مفهوم مختلف عن زنجبار كوطن وعن تاريخ زنجبار. واحتدّت المواجهة الفكرية بين فريقين متناقضين بتحديدهما لهوية الوطن أدّت إلى مواجهات عنيفة كان ختامها احداث سنة ١٩٦٤م فجذور تلك الاحداث إذن تعود إلى فرض نظام الحماية واقعاً معينا على المجتمع الزنجباري من خلال سياسات عدة من أهمها فرض نظام تعليمي ومنها دراسي ترتّب عليه ردات فعل أهمها كان ردة فعل النخبة العُمانية التي بلورت تصوّرات معيّنة لهوية زنجبار وتاريخ زنجبار ومحاولتها انقاذها من مغبّة اعتبار زنجبار مماثلة للداخل الافريقي. ولا يفوت المتابع للأحداث في زنجبار أن العُمانيين دقوا ناقوس الخطر مبكّرا وتنبّؤوا بمستقبل لزنجبار اثبتت الأحداث فيما بعد أن خوفهم كان في محلّه.

---

(١) الفلق: ٢٨ مايو ١٩٣٨.

المصادر والمراجع

أرشيف

وزارة الثقافة والتراث. أرشيف زنجبار المصوّر. عُمان
الأرشيف الوطني، كيو. المملكة المتحدة

صحافة

جامعة السلطان قابوس. غرفة عُمان. جريدة الفلق ١٩٣٨-١٩٣٩
مكتبة السيد محمد البوسعيدي. عُمان. جريدة النجاح ١٩١١
المكتبة الوطنية. تونس. جريدة الفلق ١٩٢٩-١٩٣٦

مطبوعات

١. ابن رزيق، حامد بن محمد. حلّ المشكلات. عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

٢. باباعمي، محمد بن موسى. معجم أعلام الإباضيه من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر: قسم المغرب الإسلامي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩.

٣. البرواني، محمد بن علي بن خميس. رحلة ابي الحارث. -د ت).

٤. بوعجيله، ناجيبا الوريمي. الإسلام الخارجي. بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦.

٥. دي طرازي، فيليب. تاريخ الصحافة العربية. بيروت، المطبعة الادبية، ١٩٣٣.

٦. الريس، نجيب. صحافي ومدينتان: رحلة إلى سمرقند وزنجبار. رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٧.

٧. فارسي، شيخ عبد الله بن صالح. البوسعيديون حكام زنجبار. ط ٣. عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٩٤.

٨. محسن الكندي. الصحافة العُمانية المهاجرة. صحيفة الفلق وشخصياتها: الشيخ هاشل المسكري نموذجاً. بيروت: دار الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٢.

٩. المعمري، أحمد حمود. عُمان وشرق أفريقيا. ط ٢. عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٩٢.

١٠. المغيري، سعيد بن علي. جوهرة الاخبار في تاريخ زنجبار. ط ٤. عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ٢٠٠١.

١١. الشماخي، قاسم. القول المتين في الرد على المخالفين. القاهرة: مطبعة مجلة المنار، ١٩٠٦/٧.

١٢. السالمي، عبد الله. نهضة الأعيان بحرية عُمان. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٨.

١٣. السالمي، نور الدين. تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان. السيب: مكتبة لامام نور الدين السالمي، ٢٠٠٠.

١٤. شريف، حكمت. تاريخ زنجبار. د. ت.

1. Ayalon, Ami. *The Press in the Arab Middle East: A History*. Oxford: Oxford University Press, 1995

2. Bang, Ann. *Sufis and Scholars of the Sea: Family Networks in East Africa.* London: Routledge, 2003. 300.

3. *Sufis and Scholars of the Sea: The Sufi and Family Networks of Aḥmad bin Sumayt and the Ṭarīqa ʻAlawiyya in East Africa c. 1860-1925*. Dr. Art, University of Bergen, 2000.

4. Bardin, Pierre. *Algériens et tunisiens dans l'empire ottoman de 1848 à 1914*. Paris: Centre National de la Recherche Scientifique, 1979.

5. Al-Barwani, Ali Muhsin. *Conflicts and Harmony in Zanzibar -Memoirs)*. n.p, n. d.

6. Bennett, Norman R. *Arab versus European: Diplomacy and War in Nineteenth Century East Central Africa*. New York: Africana Publishing Company, 1986.

7. Bennett, Norman R. *A History of the Arab State of Zanzibar*. London: Methuen & Co., 1978.

8. Bhacker, M. Rida. "Family Strife and Foreign Intervention: Causes in the Separation of Zanzibar from Oman: A Reappraisal." *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 1991 54-2): 269-280.

9. Bierschenk, T. "Religion and Political Structure: Remarks on Ibadism in Oman

and Mzab -Algeria)." *Studia Islamica* 68-1988): 107-127.

10. Bin Shahbal, Suleiman Said. *Zanzibar: The Rise and Fall of an Independent State 1895-1964*. n.p. n.d

11. Brown, Judith M. & al. *The Oxford History of the British Empire, Vol. IV: the twentieth century.* Oxford: Oxford University Press, 1999.

12. Burton, Richard Francis. *Zanzibar: City, Island and Coast*. reprint, 1967, London: Tinsley Bros. 1872.

13. Chatterjee, Partha. *The Nation and its Fragments: Colonial and Postcolonial Histories.* Princeton: Princeton University Press, 1993.

14. Cleveland, William L. *Islam against the West: Shakib Arslan and the Campaign for Islamic Nationalism.* Austin: University of Texas Press, 1985.

15. "The Role of Islam as Political Ideology in the First World War." *National and International Politics in the Middle East: Essays in Honour of Elie Kedourie*, ed. Edward Ingram. London: Frank Cass, 1986.

16. Commins, David Dean. *Islamic Reform: Politics and social Change in Late Ottoman Syria.* Oxford University Press, 1990.

17. Cooper, Frederick. *From Slaves to Squatters: plantation labor and agriculture in Zanzibar and coastal Kenya, 1890-1925.* New Haven: Yale University Press, 1980.

18. Coupland, Reginald, Sir. *East Africa and its Invaders: from the earliest times to the death of Seyyid Said in 1856*. New York: Russell & Russell, 1965. 302

19. *The Exploitation of East Africa*: *1856-1890: the slave trade and the scramble.* London: Faber, 1968.

20. Cuperly, Pierre. "Une profession de foi ibāḍite: la profession de foi d'ʿAbū Zakariyyā Yaḥyā ibn al-Ḫayr ibn Abī al-Ḫayr al-Ğannāwunī." *Buuletin d'études orientales* 32-33-1980-81): 21-55.

21. Custers, M. H. *Ibāḍī Publishing Activities in the East and in the West, c. 1880-1960s*. The Netherlands: Maastricht, 2006.

22. De Vere Allen, James. *Swahili Origins: Swahili Culture and the Shungwaya Phenomenon*. London: Jame Currey, 1993.

23. Deringil, Selim. *The Well-Protected Domains: Ideology and the Legitimization of Power in the Ottoman Empire 1876-1909*. London: I. B. Tauris, 1998.

24. Dirlik, Arif. "Rethinking Colonialism: Globalization, Postcolonialism, and the Nation," *Interventions: The International Journal of Postcolonial Studies* 4-2002):

25. *Postmodernity's Histories: The Past as Legacy and Project*, -Lanham, 2000), 303

26. Eickelman, Dale F. "from Theocracy to Monarchy: Authority and Legitimacy in Inner Oman, 1935-1957," *International Journal of Middle East Studies* 17-1985): 3-24.

27. Fair, Laura. *Pastimes and Politics: Culture, Community, and Identity in Post-Abolition Urban Zanzibar, 1890-1945*. Athens: Ohio University Press, 2001.

28. Gershoni, Israel et al. eds. *Histories of the Modern Middle East: New Directions*. Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2002.

29. Gershoni, Israel, and James Jankowski. *Egypt, Islam and the Arabs: The Search for Egyptian Nationhood, 1900-1930*. Oxford: Oxford University Press, 1987.

30. *Redefining the Egyptian Nation, 1930-1945*. Cambridge: Cambridge University Press, 1995. 304

31. Ghazal, Amal."Power, Arabism and Islam in the Writings of Muhib al-Din al-Khatib in *al-Fath*." *Past Imperfect* 6-1997): 133-149.

32. "Seeking Common Ground: Salafism and Islamic Reform in Modern Ibadi Thought," BRIIFS, vol. 7, no. 1, -Spring/Summer 2005), 119-141.

33. Ghubash, Hussein. Oman : *une démocratie islamique millénaire : la tradition de*

l'imâma : l'histoire politique moderne -1500-1970). Paris: Maisonneuve et Larose, 1998.

34. Glassman, Jonathon. *Feasts and Riot: Revelry, Rebellion, and Popular Consciousness on the Swahili Coast, 1856-1888.* London: James Currey, 1995.

35. "Sorting out the Tribes: The Creation of Racial Identities in Colonial Zanzibar"s Newspapers Wars." *Journal of African History* 41-2000): 395-428.

36. "Slower than a massacre: the multiple sources of racial thought in colonial Africa," *The American Historical Review* 109:3 -2004), 720-754.

37. Hoffman, Valerie J. "The Articulation of Ibādī Identity in Modern Oman and Zanzibar," *The Muslim World* 94-2004): 201-216.

38. Hollingsworth, L.W. *Zanzibar under the Foreign Office.* London: Macmillan & Co. Ltd., 1953. 305

39. Holsinger, Donald C. "Migration, Commerce and Community: the Mizabis in Eighteenth and Nineteenth Century Algeria," *Journal of African History* 1980 21-1): 61-74.

40. "Muslim Responses to French Imperialism: An Algerian Saharan Case Study." *International Journal of African Historical Studies* 1986 19-1): 1-15.

41. "Trade Routes in the Algerian Sahara in the Nineteenth Century," *Revue de l'occident musulman et de la mediterranée* 30 -1980): 57-70.

42. Ingrams, W. H. *Zanzibar: Its History and Its People.* London: Frank Cass LTD., 1967.

43. Jankowski, James & Israel Gershoni, eds. *Rethinking Nationalism in the Arab Middle East.* New York: Columbia University Press, 1997.

44. Kumar, Ravinder. "British Attitude towards the Ibadiyya Movement in East Arabia." *International Studies* 3-1962): 443-450.

45. Landen, Robert Geran. *Oman since 1856: Disruptive Modernization in a Traditional Arab Society.* Princeton: Princeton University Press, 1967.

46. Lofchie, Michael F. *Zanzibar: Background to Revolution.* Princeton: Princeton University Press, 1965.

47. Loomba, Ania. *Colonialism/Postcolonialism.* London: Routledge, 1998.

48. Al-Maamiry, Ahmed Hamoud. *Oman and Ibadhism.* New Delhi : Lancers Publishers, 1980.

49. Martin, B.G "Notes on Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century," *African Historical Studies*, 4, no.3, -1971): 525-545.

50. Mazrui, Alamin M. and Ibrahim Noor Shariff. *The Swahili: Idiom and Identity of an African People.* Trenton: Africa World Press, 1994.

51. Middleton, John. *The World of the Swahili: An African Mercantile Civilization.* New Haven: Yale University Press, 1992.

52. Nicolini, Beatrice. "The Western Indian Ocean as Cultural Corridor: Makran, Oman and Zanzibar through the Nineteenth Century European Accounts and Reports." *MESA Bulletin*, 37, no. 1, -2003): 20-49.

53. Nimtz, August H, Jr. *Islam and Politics in East Africa: The Sufi Order in Tanzania.* Minneapolis: University of Minnesota Press, 1980.

54. Pearce, F. B. *Zanzibar: The Island Metropolis of Eastern Africa.* 1st. ed., 1920. New York: Barnes & Noble, 1967.

55. Philips, Wendell. *Oman: A History.* Beirut: Librairie du Liban, 1971.

56. Pouwels, Randall L. Horn and Crescent…

57. "Sh. al-Amin B. Ali Mazrui and Islamic Modernism in East Africa, 1875-1947," *International journal of Middle East Studies* 13-1981): 329-345.

58. Pridham, B. R. ed. *Oman: Economic, Social and Strategic Developments.* London: Croom Helm, 1987.

59. Prins, A. H. J. *The Swahili Speaking Peoples of Zanzibar and the East African Coast -Arabs, Shirazis and Swahili).* London: International African Institute, 1967.

60. Reese, Scott S., ed. *The Transmission of Learning in Islamic Africa.* Leiden: Brill, 2004.

61. Rupert, Hay. "Great Britain"s Relations with Yemen and Oman." *Middle Eastern Affairs* 9, no. 5 -1960): 142-149.

62. Said, Edward W. *Culture and Imperialism*. Great Britain: Vintage, 1994.

63. *Power, Politics and Culture: Interviews with Edward Said.* Gauri Viswanathan, ed. New York: Pantheon Press, 2001.

64. Savage, Elizabeth. *A Gateway to Hell, a Gateway to Paradise: The North African Response to the Arab Conquest.* Princeton: The Darwin Press, 1997.

65. Sheriff, Abdul and Ed Ferguson, eds. *Zanzibar under Colonial Rule*. Athens: Ohio University Press, 1991. 309

66. Speece, Mark. "Aspects of Economic Dualism in Oman, 1830-1930." *International Journal of Middle East Studies* 21, no.4, 1989: 495-515.

67. Suleiman, Yasir. *The Arabic Language and National Identity: A Study in Ideology.* Washington: Georgetown University Press, 2003.

68. Turton, E. R. "Kirk and the Egyptian Invasion of East Africa in 1875: A Reassessment," *Journal of African History* 11, no.3, -1970): 355-370.

69. Ubaydli, Ahmad. "„Abdallah al-Salimi"s Role in the Ibadi Revival 1913-1920," *British Society for Middle Eastern Studies Bulletin.* 1988: 431-440.

70. Vassiliev, Alexei. *The History of Saudi Arabia.* London: Saqi Books, 1998.

71. Wilkinson, John Craven. "Ibāḍi Ḥadīth: an Essay on Normalization," *Der Islam* 62-1985): 231-259.

72. *The Imamate Tradition of Oman*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.

اهتمامات الصحافة العُمانية في الشرق الأفريقي

«على ضوء المدخل الثقافي في الإعلام الدولي»

د. الخضر عبد الباقي محمد

مدير المركز النيجيري للبحوث العربية، نيجيريا

nigeriaarabic@yahoo.com

الملخص

تعود الصِلات بين العرب والأفارقة لآلاف السنين وترجع إلى ماقبل دخول الإسلام، وقد بنيت هذه العلاقات القديمة على التبادلات الاجتماعية والثقافية في مقدمتها التجارية بالإضافة إلى بعض الهجرات الجماعية التي قام بها العرب إلى إفريقيا وكذلك مُصاهرة بعض التجار والمهاجرين العرب للأفارقة ،إلا أن دخول الإسلام زاد هذه الصِلات متانه وقوة ، وتأتي سلطنة عُمان واحدة من بين الروافد القوية لتلك العلاقات والصلات، حيث ترتبط بمنطقة الساحل الأفريقي عبر عدة وشائج موغلة في التاريخ،ترجع بداية الاتصال العُماني بالساحل الأفريقي إلى حقبة مبكرة في التاريخ أرجعها البعض إلى مرحلة تسبق ظهور الإسلام، وهناك الكثير من المؤشرات والمشخصات التي تحمل دلالات قوية لعمق هذا التواصل والتواجد العُمانيين في تلك المنطقة لعل أبرزها في المجال الثقافي صدور صحف عُمانية في بعض مدن منطقة الساحل الأفريقي متصدية للعديد من القضايا والموضوعات الاجتماعية والثقافية والسياسية، وبناء على ذلك.

تنطلق هذه الورقة لاستجلاء واقع اهتمامات الصحافة العُمانية الصادرة في الشرق الأفريقي خلال فترة زمنية متتبعة القضايا الجوهرية التي تشغل خريطة التركيز لها، وآمل أن يوفق الباحث في ذلك عبر مبحثين رئيسين بعد مقدمة يتناول الاول منه العلاقات الثقافية بين عُمان منطقة الشرق الأفريقي وفي الثاني اهتمامات الصحف العُمانية الصادرة في الشرق الأفريقي، وفي الخاتمة أهم النتائج والتوصيات